المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

أوراق استراتيجية | 13 حزيران/ يونيو، 2023

مركزية عقيدة بوتين الأمنية السياسية في قرار التدخل المباشر في سورية

ورقة استراتيجية رقم 8

رنا باروت

وحدة الدراسات الإستراتيجية

مركزية عقيدة بوتين الأمنية السياسية في قرار التدخل المباشر في سورية

سلسلة: أوراق استراتيجية

ورقة استراتيجية رقم 8

وحدة الدراسات الإستراتيجية

13 حزيران/ يونيو، 2023

رنا باروت

مساعدة باحث في مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني، وباحثة دكتوراه في برنامج الدراسات الأمنية النقدية بمعهد الدوحة للدراسات العليا. حاصلة على الماجستير في الدراسات الأمنية النقدية من المعهد نفسه، والبكالوريوس في الإعلام الجماهيري من جامعة قطر. تتركز اهتماماتها البحثية في القضايا الأمنية والاستراتيجية وقضايا حل النزاع وبناء السلام والوساطة.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2023

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعاين، قطـر

هاتف: 40354111 974 +

www.dohainstitute.org

المحتويات

مقدمة 4

أولاً: أسباب التدخل ومدى قوتها التفسيرية 4

1. الأهمية الجيوسياسية لعودة روسيا إلى الشرق الأوسط 5
2. الأهمية الاستراتيجية للبحرية الروسية (قاعدة طرطوس البحرية) 6
3. المصالح الاقتصادية والتجارية العسكرية 8
4. أهمية الطاقة 10

ثانيًا: الدور المركزي للعقيدة الأمنية البوتينية في تفسير التدخل: عقدة شمال القوقاز 11

1. المسألة الشيشانية (الشمال قوقازية) 11
2. الأحداث السورية قادحًا لاضطرابات شمال القوقاز الجديدة (2011-2015) 12
3. تدفق مقاتلي شمال القوقاز إلى سورية 14
4. التدخل المباشر 17
5. ماذا كسبت روسيا من سورية؟ 19
   - أ. الخبرة العسكرية الميدانية 19
   - ب. اختبار جيل جديد من الأسلحة وتطويرها 19
   - ج. الامتيازات العسكرية الاستراتيجية 20
   - د. الامتيازات الاقتصادية 20

خاتمة واستنتاجات 20

المراجع 22

مقدمة

كان التدخل العسكري الروسي المباشر في الحرب السورية، في 30 أيلول/ سبتمبر 2015، أول عملية عسكرية واسعة النطاق، بعد العملية الخاطفة الأولى في شبه جزيرة القرم في عام 2014، قامت بها روسيا في الخارج منذ سقوط الاتحاد السوفياتي[1]. شكّل هذا التدخل نوعًا من المفاجأة للمراقبين والمحللين والسياسيين[2] الذين كانوا يعتقدون أن روسيا والولايات المتحدة الأميركية ستستمران، على الرغم من الخلافات العميقة بينهما، في السعي لإيجاد نقاط توافق بينهما على التسوية السياسية للمسألة السورية؛ ذلك أن روسيا لم تقدّم للنظام السوري قبل التدخل، ما خلا العقود العسكرية والدعم السياسي، سوى مساعدات هامشية؛ فقد كان لديها حتى لجوئها إلى التدخل المباشر، حينما تطورت التهديدات المحلية والإقليمية والدولية ضد بشار الأسد، قائمة من الخيارات السياسية، مثل العمل مع الولايات المتحدة بصفة ثنائية أو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للتوسط في تسوية سلمية بين النظام والمعارضة[3].

لماذا تحولت روسيا من نطاق الدعم السياسي والدبلوماسي للنظام السوري، وتوفير الحماية له ضد مشاريع العقوبات الغربية، ومن الضغط عليه لقبول مشاريع التسوية السياسية، إلى نطاق التدخل العسكري المباشر لحمايته والحفاظ على بقائه؟ وما دلالات توقيت التدخل في أيلول/ سبتمبر 2015 وليس قبله؟ وما الأسباب والعوامل التي حكمت ذلك؟ أو ما المتغير التفسيري للتدخل؟

أسهبت غالبية الدراسات في عرض المصالح التي دفعت روسيا إلى التدخل، ويمكن تكثيف أبرزها فيما يلي: الأهمية الجيوسياسية لعودة روسيا إلى الشرق الأوسط من البوابة السورية، والأهمية الاستراتيجية للبحرية الروسية (قاعدة طرطوس)، والمصالح التجارية والتجارية العسكرية الروسية، والمصالح الطاقية، والحنين التاريخي الروسي إلى العودة إلى المياه الدافئة بحسب ما أشارت إليه بعض الدراسات. في حين لم تُعطَ المصالح الأمنية المباشرة إلا حيزًا محدودًا، إذ تطرّقت إليها دراسات كثيرة عرَضًا في سياق التحليل بوصفها أحد العوامل، فلم تهتم هذه الدراسات بدور المنظومة الفكرية (الفلسفية) والأدائية في عقيدة فلاديمير بوتين عمومًا، وعقيدته الأمنية خصوصًا، إلا على نحو محدود. أما المقاربة البحثية المعتمدة في هذا الدراسة فتقوم على أن تلك المصالح، التي تسهب الدراسات في التركيز عليها، لا تتمتع، سواء بالنظر إلى كلٍ منها على حدة أو إلى مجموعها، بكفاية تفسيرية، ويمكن تقدير أنها كانت عناصر مؤثرة، لكنها ليست حاكمة. وترى أن المصالح الأمنية القومية الروسية المباشرة، وتحديدًا أولوية المصالح الأمنية الداخلية الروسية على أيّ مصالح أخرى كما يدركها صانع القرار الروسي، هي التي تفسّر التدخل، وتمثّل من ثمّ المتغير التفسيري. وفي مقابل ذلك، نجد أن ما حصلت عليه روسيا أو عززته من مصالح أخرى كان من نتائج التدخل، فهذه المصالح هي نتائج، وليست أسبابًا دافعة.

أولًا: أسباب التدخل ومدى قوتها التفسيرية

يركز الباحثون والباحثات على مجموعة من العوامل في تفسير التدخل المباشر، بالنظر إلى أن النقد الموجه إليها يوضح، إلى حد بعيد، طبيعة الإضافة التي يروم بها تحقيقها.

---

1 Anton Lavrov, "Russia in Syria: A Military Analysis," in: Nicu Popescu & Stanislav Secrieru (eds.), *Russia's Return to the Middle East Building Sandcastles*, no. 146 (Luxembourg: Europeab Union Institute for Security Studies, 2018), p. 47, accessed on 1/3/2022, at: https://bit.ly/3ICLmbo

2 Simon Allcock, "Explaining Russia's Intervention in Syria in September 2015," *E-International Relations*, 28/2/2016, p. 1, accessed on 1/3/2022, at: https://bit.ly/3mRMAuA; Anna Borshchevskaya, *Putin's War in Syria: Russian Foreign Policy and the Price of America's Absence* (London: I. B. Tauris, 2022), p. 2.

3 Michael McFaul, "Putin, Putinism, and the Domestic Determinants of Russian Foreign Policy," *International Security*, vol. 45, no. 2 (Fall 2020), pp. 124 - 125.

1. الأهمية الجيوسياسية لعودة روسيا إلى الشرق الأوسط

هل كان لدى روسيا، حين قررت التدخل المباشر في سورية، سياسة أو استراتيجية جيوسياسية متوسطية واضحة؟ لم تكن لدى بوتين، حينما تولّى رئاسة الاتحاد الروسي بالوكالة في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1999، رؤية للشرق الأوسط؛ فبعد تولّيه بعدّة أسابيع، أصدر في كانون الثاني/ يناير 2000 قانونًا يحدد مفهوم الأمن القومي الروسي، وردت فيه إشارة مقتضبة جدًا إلى الشرق الأوسط، باعتبار أن أحد مصادر التهديدات الخارجية الأساسية للأمن القومي الروسي هو «إضعاف النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري لروسيا في الشرق الأوسط». وتكررت الإشارة إلى ذلك، في سياق سعي بعض الدول لإضعاف موقع روسيا في أوروبا والشرق الأوسط ومنطقة القوقاز وآسيا الوسطى ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ[4]. وتُعدّ هذه الإشارة المقتضبة دليلًا على أن منطقة الشرق الأوسط لا تتمتع بمكانة خاصة في مصدر تهديدات الأمن القومي الروسي.

وقد تُرجم مفهوم الأولويات الإقليمية في وثائق مفهوم السياسة الخارجية، التي صدر منها ثلاث وثائق حتى عام 2013[5]، بوضع إقليم الشرق الأوسط في المرتبة الخامسة من الأولويات الإقليمية الروسية في أقاليم العالم، بعد رابطة الدول المستقلة، وبحر قزوين، وأوروبا، وآسيا – المحيط الهادئ، ثم جاءت في أدنى الأقاليم الأخرى منظمة الوحدة الأفريقية، وأميركا اللاتينية[6].

والقاسم المشترك بين مفاهيم السياسة الخارجية الثلاثة، التي صدرت حتى تاريخ التدخل، هو النظر إلى الدور الروسي عبر كون روسيا شريكًا راعيًا لعملية السلام الفلسطينية – الإسرائيلية. لكن في مفهوم عام 2000، هيمنت أولوية تعزيز المصالح الاقتصادية المتركزة حول المصالح الطاقية في استعادة روسيا لدورها في الشرق الأوسط[7]، وانفرد مفهوم عام 2008 بتحديد أسماء بعض دول الشرق الأوسط، بالنص على أن روسيا تنوي «تطوير علاقاتها مع تركيا ومصر والجزائر وإيران والسعودية وليبيا وباكستان، ودول إقليمية أخرى رائدة»[8]، ولم يرد اسم سورية بينها. أما مفهوم عام 2013، فقد اشترك مع ما ورد في مفهومَي 2000 و2008 في القول بتعزيز الاستقرار في الشرق الأوسط، والمشاركة راعيًا في عملية السلام. لكنه انفرد، في ضوء ما حدث في السيناريو الليبي، بالنص على خطر آخر على السلام والاستقرار العالميَّين يتمثل في محاولات «إدارة الأزمات بواسطة العقوبات الأحادية الجانب وغيرها من التدابير القسرية، بما في ذلك العدوان المسلح، خارج إطار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة»، وذلك «عندما يُسمح بالتفسير التعسفي لقراراته» وتنفيذها عن طريق «إطاحة السلطات الشرعية في الدول ذات السيادة بحجّة حماية السكان المدنيين»[9]، في إشارة إلى عملية قصف حلف شمال الأطلسي «الناتو» لليبيا في 19 آذار/ مارس 2011 بعد يومين من اتخاذ مجلس الأمن قراره وفقًا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وتبعه سقوط النظام الليبي مع مقتل معمر القذافي في 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2011.

---

4 "2000 Russian National Security Concept," Berlin Information-Center for Transatlantic Security, accessed on 12/2/2022, at: https://bit.ly/3JGXetL

5 تصدر في روسيا عادة، مع كل استراتيجية لمفهوم الأمن القومي، وثيقة أخرى مبنية عليها تُدعى مفهوم السياسة الخارجية. وتوزع العالم على سبعة أقاليم تحدد مرتبتها وفق الأولويات. وضعت مفاهيم السياسة الخارجية الروسية في ضوء مفهوم الأمن القومي، وقد صدر حتى عام 2013 أو ما قبل التدخل الروسي العسكري المباشر ثلاثة مفاهيم مفصلة للسياسة الخارجية الروسية (2000، و2008، و2013).

6 Francisco J. Ruiz González, "The Foreign Policy Concept of the Russian Federation: A Comparative Study," *Framework Document*, no. 6, Instituto Espanol de Estudios Estrategicos (April 2013), p. 17, accessed on 15/3/2022, at: https://bit.ly/3wyZDTX

7 *The Foreign Policy Concept of The Russian Federation, Approved by the President of the Russian Federation V. Putin, June 28, 2000*, accessed on 12/2/2022, at: https://bit.ly/3wyQWsI

8 *The Foreign Policy Concept of The Russian Federation, Approved by the President of the Russian Federation V. Putin on 12 July 2008*, accessed on 13/2/2022, at: https://bit.ly/37myBET

9 Sergey Lavrov, "Russia's Foreign Policy Philosophy," *International Affairs*. vol. 8, no. 3 (March 2013), accessed on 31/5/2023, at: https://shorturl.at/GHMV4

لقد أظهر بوتين، بعد الاحتلال الأميركي للعراق في 13 نيسان/ أبريل 2003، وطرح الولايات المتحدة مشروع «الشرق الأوسط الكبير» في عام 2004، اهتمامًا بزيارة المنطقة على عكس سلفه بوريس يلتسين الذي أهملها ولم يزُرها مباشرة. فزار بوتين، في الفترة 2004 - 2007، مصر وإسرائيل والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر والأردن وليبيا وتركيا وإيران، ثم استقبل الأسد في كانون الثاني/ يناير 2005 في موسكو[10]. وقد اكتسبت روسيا صفة عضو مراقب في منظمة التعاون الإسلامي Organization of Islamic Cooperation، التي كانت تُعرف سابقًا بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وانخرطت بوصفها عضوًا دائمًا في مجلس الأمن في مفاوضات عملية السلام في الشرق الأوسط وإن كان دورها الفعلي ثانويًا، وفي مجموعة «خمسة زائد واحد» (P5+1) مع إيران. لكن هذا الزخم لم يعبّر عن سياسة روسية شرق أوسطية تتجاوز حدود «تطوير العلاقات» المعاملاتية مع الدول التي حددتها استراتيجية عام 2000، ولم يؤدِّ إلى قيام روسيا ببناء نفوذ حقيقي في الشرق الأوسط؛ إذ لم يصل انخراطها في المنطقة قطّ إلى عمق انخراط الولايات المتحدة فيها[11]، فلقد ظل الشرق الأوسط في مرتبة متدنية نسبيًا ضمن الأولويات الإقليمية للسياسة الخارجية الروسية[12].

وفي هذا السياق، يمكن فهم أن قيمة التعاون (التجارة، والخدمات) مع العالم العربي بأكمله كانت في عام 2010 حوالى 10 - 12 مليار دولار أميركي سنويًا، واستحوذ الشرق الأوسط، ما عدا تركيا، على نحو 1.7 في المئة من إجمالي صادرات روسيا في الفترة 2011 - 2013، وارتفع إلى 2.1 في المئة و2.5 في المئة في عامَي 2014 و2015، على التوالي[13].

وبناءً عليه، يمكن فهم ما صرّح به وزير الخارجية الروسية، سيرغي لافروف، بأنه «ليس لدينا أيّ اهتمامات جيوسياسية في سورية»، ولم تظهر حتى إعداد هذه الدراسة استراتيجية جيوسياسية روسية في الشرق الأوسط، بينما توجد في المرحلة الثانية من تطور عقيدة بوتين هذه الاهتمامات الجيوسياسية التوسعية. لكنها اهتمامات منصبّة على توسعية دولة إقليمية كبيرة في محيطها، ومرتكزة على مفاهيم العالم الروسي، والجوار القريب، والأوراسية؛ وهي مجالات توسعية بعيدة عن الشرق الأوسط. وقد دفع ذلك العديد من المحللين، مثل ديمتري ترينين، إلى القول إن تحويل سورية إلى معقل جيوسياسي وقاعدة عسكرية روسية في المنطقة كان ثانويًا في أهداف التدخل[14]. وشارك ترينين العديد من المحللين الذين رأوا أن بوتين، حين اتخذ قرار التدخل المباشر في سورية، «لم يكن واضحًا على الإطلاق أن العملية ستنتج مكاسب جيوسياسية غير متوقعة»، ويضع هؤلاء الدوافع الجيوسياسية ضمن العوامل الثانوية، بمعنى أنه ما كان لها أن تشكّل سببًا للتدخل في غياب السبب الأساسي، الذي يحددونه بالحيلولة دون سقوط نظام الأسد، كي لا تملأ التنظيمات الإسلامية المتطرفة الفراغ[15].

2. الأهمية الاستراتيجية للبحرية الروسية (قاعدة طرطوس البحرية)

ركزت تلك الدراسات، في التفسير الاستراتيجي للتدخل الروسي، على ما يدعى قاعدة طرطوس البحرية الروسية في المتوسط. لكن لم يكن في طرطوس حين حصل التدخل ما يمكن تسميته قاعدة، بل كان نقطة دعم خدمية صغيرة لا أكثر، صنفتها البحرية الروسية منذ السبعينيات بأنها «نقطة دعم فني مادي» قادرة فقط

10 Aron Lund, "Russia in the Middle East," The Swedish Institute of International Affairs (2019), p. 13, accessed on 14/3/2022, at: https://bit.ly/3545SDU; James Sladden et al., "Russian Strategy in the Middle East," Rand Corporation (2017), p. 2, accessed on 29/9/2020, at: https://bit.ly/3GO4dPz

11 Sladden et al., p. 8.

12 Ibid., p. 3.

13 Witold Rodkiewicz, "Russia's Middle Eastern Policy Regional Ambitions, Global Objectives," Centre for Eastern Studies (2017), p. 45, accessed on 4/4/2022, at: https://bit.ly/3NZysYD

14 Dmitri Trenin, "What Drives Russia's Policy in the Middle East?" in: Popescu & Secrieru (eds.), p. 21.

15 Samuel Charap, Elina Tryger & Edward Geist, "Understanding Russia's Intervention in Syria," Rand Corporation (2019), pp. 7-8, accessed on 19/2/2022, at: https://bit.ly/3tBKGP5

على خدمة السفن الصغيرة. ومع ذلك، فإنها كانت آخر نقاط الوجود العسكري في الشرق الأوسط[16]، والغرض منها هو فقط الإرساء المؤقت[17]، وكانت قليلة الاستخدام ومنشأتها قديمة[18]. ولم تكن تضم عشية التدخل أكثر من خمسين جنديًا روسيًا؛ ما دفع بعض المؤلفين إلى التشكيك في أهميتها الاستراتيجية[19]. ويشير كريستوفر هارمر إلى افتقاد المنشأة إلى القيادة والسيطرة؛ ما يعني أن البحرية الروسية لا يمكنها توجيه العمليات منها، ثم إن محدودية عمق المرفأ لا تسمح لحاملة الطائرات الوحيدة التابعة للبحرية الروسية، وهي حاملة الأميرال كوزنتسوف Admiral Kuznetsov، بأن ترسو فيها[20].

وفي النصف الأول من عام 2010، سعى الكرملين لإيجاد بدائل أفضل من طرطوس، من أجل الحفاظ على نقطة دعم بحرية في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط[21]. وحينما أجرت البحرية الروسية، في كانون الثاني/ يناير 2013، مناورات بحرية كبيرة في المتوسط شاركت فيها أساطيلها الأربعة، فإنها زارت المرافئ اللبنانية، بينما خفضت وصولها إلى طرطوس[22].

لا يعني ذلك أن قاعدة طرطوس وتطويرها أمر لا يهمّ روسيا، فلقد وصفها القائد العام للقوات البحرية الروسية، في حديث لا لبس فيه عن أهميتها، بأنها «أساسية». لكن هذه الأهمية لا تفسّر بكونها سببًا للتدخل المباشر[23]. إلا أن تعزيز القاعدة بتحويلها، وفق الاتفاقية السورية - الروسية المتعلقة باستخدامها، إلى قاعدة أساسية استراتيجية للبحرية الروسية، هو من آثار التدخل الذي يسمح من حيث الإمكانية بتعزيز الوجود الاستراتيجي في البحر الأبيض المتوسط، وعودة روسيا بصفتها قوة وازنة إلى الشرق الأوسط، لو صاغت سياسة شرق أوسطية خاصة بها.

ومع ذلك، يشكك بعض المحللين في أهمية تطوير الروس القاعدة إلى قاعدة استراتيجية، ويرون أن هذا التطوير لن يمكّنها من استقبال أكثر من عشر سفن وغواصتين أو ثلاث. لكن هذه الغواصات ليست مصممة للمواجهة العسكرية مع خصم خطير، ولذا فمهمتها الأساسية سياسية. وقد خلص هؤلاء إلى الترجيح بأن تكون هذه الخطوة في تطوير القاعدة رمزيةً أكثر من كونها عملية[24]. وفي هذا السياق، فإن العقيدة العسكرية الجديدة لسلاح البحرية الروسي، التي أقرها بوتين في 26 تموز/ يوليو 2015، وهي ثاني عقيدة عسكرية بحرية بعد العقيدة المقرة في 27 حزيران/ يونيو 2001، لم تُعطِ الشرق الأوسط مكانةَ منطقةٍ إقليمية رئيسة أو قائمة في حد ذاتها بالنسبة إلى البحرية الروسية؛ إذ إنها حددت تلك المناطق الإقليمية بستِ مناطق إقليمية رئيسة هي: المحيط الأطلسي، والقطب الشمالي، والمحيط الهادئ، وبحر قزوين، والمحيط الهندي، والقطب الجنوبي، وأعطت المحيط الأطلسي والقطب الشمالي أولوية واضحة، لأهميتهما وموقعهما الجيوستراتيجي، وكم التهديدات والفرص المحتملة فيهما[25].

---

16 Fredrik Westerlund, "The Role of the Military in Putin's Foreign Policy: An Overview of Current Research," Swedish Defence Research Agency (FOI) (February 2021), p. 45, accessed on 18/3/2022, at: https://bit.ly/3IPs3vH

17 Daria Vorobyeva, "Russian Foreign Policy in the Early Syrian Conflict," in: Raymond A Hinnebusch & Adham Saouli (eds.), *The War for Syria: Regional and International Dimensions of the Syrian Uprising* (London/ New York: Routledge, 2020), pp. 229-230; Roy Allison, "Russia and Syria: Explaining Alignment with a Regime in Crisis," *International Affairs*, vol. 89, no. 4 (July 2013), p. 806.

18 Lund, p. 9.

19 Allcock, p. 3; Allison, p. 806.

20 Christopher Harmer, "Russian Naval Base Tartus," Institute for the Study of War (ISW), 31/7/2012, p. 1, accessed on 20/3/2022, at: https://bit.ly/3umqNed

21 Igor Delanoë, "Russian Naval Forces in the Syrian War," in: Robert E. Hamilton, Chris Miller & Aaron Stein (eds.), *Russia's War in Syria: Assessing Russian Military Capabilities and Lessons Learned* (Philadelphia: Foreign Policy Research Institute, 2020), p. 123.

22 Allison, p. 807.

23 Allcock, p. 3.

24 Alexey Malashenko, "Russia and The Arab Spring," Carnegie Moscow Center (October 2013), p. 12, accessed on 19/3/2022, at: https://bit.ly/3wu96Mq

25 أليكسي كليينيكوف، "أسس العقيدة العسكرية لسلاح البحرية الروسي"، **اتجاهات الأحداث**، العدد 14 (أيلول/ سبتمبر-تشرين الأول/ أكتوبر 2015)، شوهد في 2022/4/28، في: https://bit.ly/3LJOggE

3. المصالح الاقتصادية والتجارية العسكرية

يرى بعض الخبراء أن تجارة الأسلحة هي «السياسة الخارجية الثانية لروسيا»[26]، بينما يرى آخرون أنه على الرغم من أن روسيا بمبيعاتها من الأسلحة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية، فإن مبيعاتها، على خلاف الدول الغربية التي ترهن بيعها للأسلحة بحسب نوعيتها بأغراض سياسية، تأتي من دون شروط أو بشروط أقل، وعمومًا فإنها لا تفرض شروطًا سياسية[27]. لكن هذا لا ينطبق على الحالة السورية، فقد اقتصرت روسيا على تزويد سورية بأسلحة دفاعية، كي لا تؤذي علاقاتها مع إسرائيل[28].

لقد جمدت روسيا في هذا السياق تنفيذ بعض العقود العسكرية السابقة المبرمة، وسيلةً للضغط على الرئيس السوري كي يتجاوب مع التسوية السياسية للأزمة، مثل صفقة تشتمل على 24 طائرة مقاتلة و36 طائرة تدريب/ مقاتلة من طراز Yak-130. وجمدت كذلك التسليم منذ عام 2012 حتى نيسان/ أبريل 2019 على الأقل[29]، واعتبر مسؤول روسي كبير أن بلاده لن تسلّم أيّ طائرات مقاتلة أو أسلحة جديدة أخرى إلى سورية ما دام الصراع بلا حل، مقتصرةً على تزويد الجيش السوري بالدبابات (25 دبابة T-62، وما يقدر بنحو 10 مركبات قتال مشاة IFV من طراز BMP-1)، ثم زودت في عام 2018 ثلاث كتائب بصواريخ S-300PM المستعملة، التي كانت كفاءتها في إسقاط الصواريخ والطائرات الإسرائيلية محدودة. ويُرجح أن تكون موسكو قد سلّمت ذخائر وقطع غيار الأسلحة للجيش السوري، عبر شبكة الإمداد اللوجستي السريعة «سورية إكسبرس» Syrian Express[30].

لا يمكن في أي حال من الأحوال أن تُعدّ مصالح التجارة والتجارة العسكرية الروسية مع سورية سبب التدخل أو أحد أسبابه؛ فحين قرر بوتين التدخل المباشر في سورية كانت المصالح الاقتصادية - التجارية والتجارية - العسكرية الروسية مع سورية محدودة، فقد شكلت سورية 0.1 في المئة فقط من إجمالي التجارة الروسية الخارجية مع العالم في عام 2011، وشكلت في عام 2015 نسبة 5 في المئة فقط من صادرات الأسلحة الروسية[31]. فلم تكن العلاقات التجارية بين روسيا وسورية في صدارة أولويات موسكو قط[32].

بل تدنت صادرات الأسلحة الروسية إلى سورية، وفق الشكل (1) عن الصادرات الروسية إلى سورية؛ إذ بلغت في عام 2012 أكثر من 600 مليون دولار، في حين لوحظ انحدار تدريجي فيها لتصل إلى ما يقل عن 100 مليون دولار في عام 2021[33]. أما على مستوى صادرات الأسلحة الروسية، فيبيّن الشكل (2) أن هذه الصادرات في عام 2011 كانت عبارة عن مبلغ متواضع يتجاوز 600 مليون دولار، لكنها انحدرت إلى الصفر في عام 2018[34].

---

26 Borshchevskaya, p. 83.

27 Alexandra Kuimova, "Russia's Arms Exports to the Mena Region: Trends and Drivers," Italian Institute for International Political Studies (ISPI), 1/4/2019, p. 5, accessed on 12/3/2022, at: https://bit.ly/36odbXG

28 Derek Averre, "Russia, the Middle East and the Conflict in Syria," in: Roger E. Kanet (ed.), *Routledge Handbook of Russian Security* (New York: Routledge, 2019), p. 401.

29 Kuimova, p. 8.

30 Ibid., p. 8; "Russia Supplying Arms to Syria under Old Contracts: Lavrov," *Reuters*, 5/11/2012, accessed on 25/3/2022, at: https://reut.rs/3wFvFOp

31 Allcock, p. 3.

32 Borshchevskaya, p. 157.

33 "Russia Exports to Syria," *Trading Economics*, accessed on 15/3/2022, at: https://bit.ly/3ih4NeZ

34 "Russia Exports of Arms and Ammunition, Parts and Accessories to Syria," *Trading Economics*, accessed on 15/3/2022, at: https://bit.ly/3uss8A0

الشكل (1)
صادرات روسيا إلى سورية

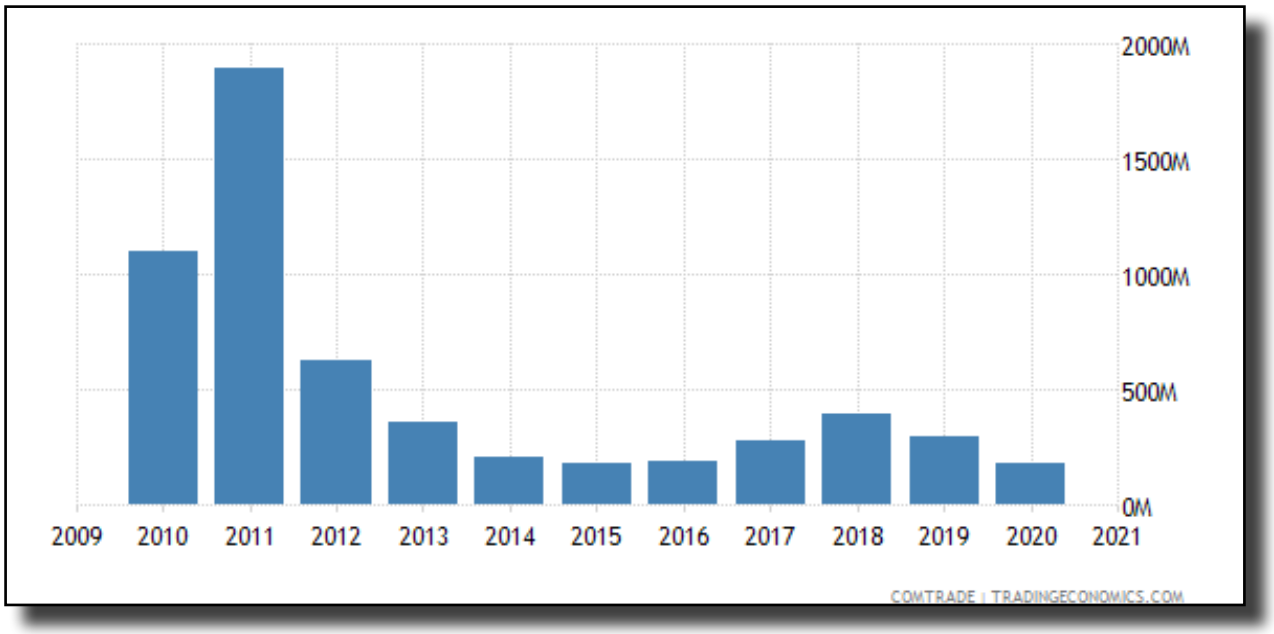

المصدر:

"Russia Exports to Syria," *Trading Economics*, accessed on 152022/3/, at: https://bit.ly/3ih4NeZ

الشكل (2)
صادرات الأسلحة الروسية إلى سورية

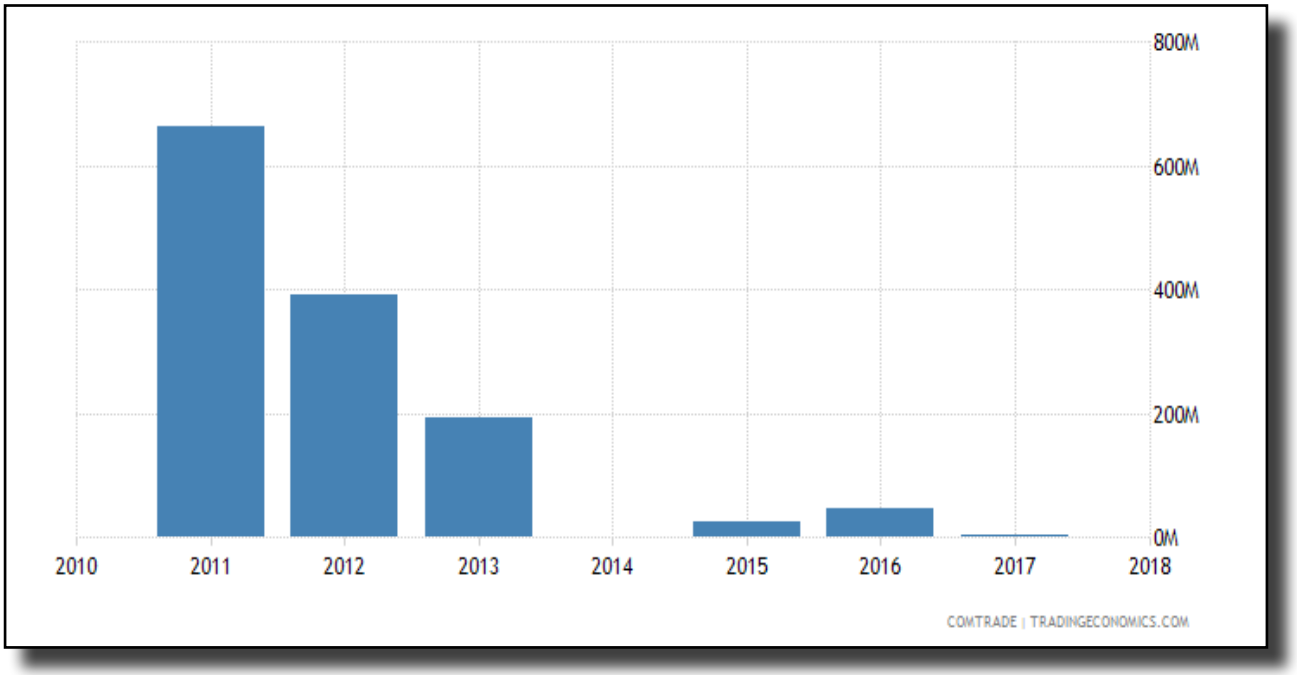

المصدر:

"Russia Exports of Arms and Ammunition, Parts and Accessories to Syria," *Trading Economics*, accessed on 152022/3/, at: https://bit.ly/3uss8A0

4. أهمية الطاقة

كانت شركات النفط الروسية قد حصلت قبل اندلاع الأزمة السورية على حقوق امتيازية، لكن معظمها غادر حين اندلعت أحداث الأزمة. ويتعلق الأمر بمكانة سورية الطاقية، حيث غدت سورية، بوصفها بلد عبور، أهم من كونها منتجًا للنفط، وفي هذه الصدد أخذ إنتاجها يتراجع من عام 1988 بنسبة 4 - 5 في المئة سنويًّا، لكن التوقعات الحكومية ظلت تقوم على أن سورية ستستمر في الإنتاج حتى عام 2010 أو 2025 بمعدل 300 ألف برميل يوميًّا بزيادة أو نقصان ما نسبته عشرة في المئة إن لم تحدث اكتشافات جديدة[35].

لقد انتشرت رواية مفادها أن روسيا تدخلت في سورية لمنع مشروع أنبوب خط الغاز القطري - التركي، ومشروع خط الأنابيب الإسلامي الإيراني – العراقي - السوري، المارّين بسورية؛ ما يمنح روسيا وقتًا إضافيًا لتطوير مشاريع الغاز الخاصة بها، «نورد ستريم» Nord Stream و«ساوث ستريم» South Stream اللذين يمتدان منها إلى تركيا، ويمكّنها من السيطرة على مركزية سورية في نقل الغاز وفي وصوله إلى أوروبا، والالتفاف على أوروبا الشرقية[36]. وعلى كل حال، فقد ألغت روسيا مشروع ساوث ستريم في عام 2014؛ أي قبل التدخل المباشر في سورية[37]، ثم جمّدت خط نورد ستريم في تشرين الثاني/ نوفمبر 2015 بعد أن أسقطت تركيا قاذفة SU-24M على الحدود السورية - التركية[38].

وذهبت بعض الروايات بعيدًا إلى حد الاعتقاد الراسخ بأن سبب التدخل الروسي المباشر هو الصراع بين مشروعَي خط أنابيب الغاز القطري - التركي في عام 1999، وخط الأنابيب الإسلامي الإيراني – العراقي - السوري في عام 2011، المارّين بسورية بصفتها نقطة ترانزيت إلزامية، وقد غدا هذا «الاعتقاد» موضع بحث كأنه حقيقة قائمة تفسّر التدخل. لكنه لم يكن وفق بعض المحللين أكثر من تفسيرات تنتمي إلى نظريات المؤامرة التي تنمّ عن جهلٍ بأوضاع البلد وبعوامل اندلاع الأزمة السورية[39].

أما الامتيازات الطاقية التي حصلت عليها روسيا، فكانت من نتائج التدخل وليس من أسبابه، وهي في حقيقتها قبل التدخل وبعده ما زالت محدودة. وذلك ما يفنّد التحليلات المبنية على اعتقادات ذهبت بعيدًا في تفسير دعم روسيا للنظام ووقوف قطر ضده، وفسرت الموقف الروسي بأنه سياسة مسبقة ترمي إلى عرقلة بناء مشروع أنابيب الغاز القطري - التركي الذي من شأنه أن يسمح بدخول كميات إضافية من الغاز القطري إلى أوروبا تنافس الإمدادات الروسية[40]، ويقرّ سيمون ألكوك بالمصالح الطاقية الروسية في سورية، وبمعارضة روسيا مشروع خط الغاز القطري - التركي. لكنه يشير إلى ضعف كفايته التفسيرية في فهم التدخل وتوقيته وحجمه، بأنه فقط لتحقيق تلك المصالح. ويستنتج، على مستوى المقاربة النظرية، أن هذا يتحدى ادّعاء الواقعيين الجدد أن روسيا تهدف إلى الحفاظ على تلك المصالح[41].

لا شك في وجود مصالح روسية في سورية والشرق الأوسط عمومًا، مع اختلاف المحللين والباحثين في درجة أهميتها، لكن لا يملك أيٌّ منها ولا مجموعها كفاية تفسيرية لفهم التدخل المباشر. إن موقف روسيا من أحداث

35 "سورية تتوقع تراجع إنتاجها النفطي في2006"، **الرأي**، 2006/2/8، شوهد في 2023/6/4، في: https://l1nq.com/0NKMJ

36 Malashenko, p. 12.

37 Robert H. Donaldson & Vidya Nadkarni, *The Foreign Policy of Russia Changing Systems, Enduring Interests* (New York/ London: Routledge, 2019), p. 317.

38 Ibid., p. 441.

39 Paul Cochrane, "The 'Pipelineistan' Conspiracy: The War in Syria has never been about Gas," *Middle East Eye*, 16/4/2018, accessed on 17/3/2022, at: https://bit.ly/3D8d0vC; Borshchevskaya, p. 174.

40 Agata Wlodkowska-Bagan, "Syria in Russia's Foreign Policy in the 21st Century," *TEKA Komisji Politologii I Stosunków Mi⊠dzynarodowych*, vol. 12, no. 1 (2017), p. 12, accessed on 2/3/2023, at: https://bit.ly/3AgtRfk

41 Allcock, p. 3

الربيع العربي هو «النقطة الفاصلة حقًا» في تحوّل السياسة الخارجية في الشرق الأوسط، في ضوء ما سبّبته أحداثه من التوتر الشديد بينها وبين مناطق شمال القوقاز، وإن ما كانت روسيا تسعى لتحقيقه من مكاسب اقتصادية قد تراجع على سلّم أولوياتها في الشرق الأوسط، لتصعد الأهداف المتعلقة بالأمن القومي إلى القمة[42]، وفي مقدمتها الخوف من تدهور الوضع الأمني في القوقاز.

ثانيًا: الدور المركزي للعقيدة الأمنية البوتينية في تفسير التدخل: عقدة شمال القوقاز

يمكن تحليل هذا الدور على مستويين: الأول هو المسألة الشيشانية، وإدراك عقيدة بوتين الأمنية السياسية لها بصفتها مسألة أمن قومي تهدد عقد روسيا الاتحادية نفسها. والثاني هو أثر تجدد حركات شمال القوقاز الإسلامية عن طريق التفاعل مع أحداث الربيع العربي عمومًا، ومع التطور الدراماتيكي السريع للأحداث في سورية.

1. المسألة الشيشانية (الشمال قوقازية)

يشمل مفهوم العقيدة الأمنية طائفة واسعة من المجالات التي تتعلق بالجوانب والمستويات المختلفة للأمن القومي والأخطار المحتملة عليه بأنواعها الصلبة والمرنة داخليًا أو خارجيًا، ويُعدّ في روسيا رسميًا جزءًا من العقيدة العسكرية[43] المبنية بدورها على استراتيجية مفهوم الأمن القومي. وقد جرى تحوّل جذري مع بداية توليّ بوتين رئاسة الاتحاد الروسي، يقوم على ربط تحديات الأمن الداخلي بتحديات الأمن الخارجي، وقد غذّت الحرب الشيشانية الثانية (1999-2009) في مرحلة بوتين هذه الاعتقادات، وبلورتها حقيقةً أمنيةً على مستوى الاعتقادات الفلسفية والأدواتية في العقيدة البوتينية العامة، لتركز على المخاطر الأمنية غير الدولتية.

وتأتي في قلب مخاطر الأمن القومي الداخلي الحرب الشيشانية (شمال القوقاز)، التي ربطتها عقيدة بوتين بالأمن القومي الخارجي، فما من قضية أثّرت في تحول السياسة الروسية، الداخلية والخارجية على حد سواء، مثل تلك المسألة والحربين اللتين ارتبطتا بها[44]؛ وهما حربان كبيرتان ومكلفتان، اندلعت أولاهما في مرحلة يلتسين (1994-1996)، وثانيتهما في مرحلة بوتين (1999-2009). وقد حولت هجمات 11 سبتمبر 2001 مكافحة الإرهاب إلى قضية عالمية، وكان لها ما يعادلها في الجدول الأمني السياسي الروسي منذ الأحداث المروعة التي وقعت في عامَي 1999 و2002، وفي آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر 2004، وأسفرت عن تدمير طائرتين مدنيتين بواسطة الخاطفين، وهجوم على محطة مترو الأنفاق في موسكو، والهجوم الوحشي الذي شنه الإرهابيون على مدرسة إعدادية في بيسلان[45].

بدأ بوتين عهده رئيسًا لمجلس الوزراء في آب/ أغسطس 1999 بتعهده بالقضاء، خلال أسبوعين، على الحركة الشيشانية التي هاجمت داغستان المجاورة بهدف إقامة دولة إسلامية في شمال القوقاز، مؤكدًا أن الاتحاد الروسي سيتفكك إن لم يَجرِ القضاء عليها[46].

---

42 Lund, p. 20.

43 وسيم خليل قلعجية، **روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص 115.

44 Donaldson & Nadkarni, p. 174.

45 Ibid., p. 973.

46 Ibid., p. 284; Borshchevskaya, p. 45

دمّر بوتين غروزني، وأصبحت مكافحة الإرهاب بعد ذلك فكرة مهيمنة على السياسة الأمنية الروسية[47]، قامت على الربط العضوي بين ما يُدعى روسيًا «الإرهاب» «الشمال قوقازي» في الداخل، و«المؤامرات الغربية» في الخارج. غير أن حربه طالت، وتسببت في خسائر فادحة وفي مئات الآلاف من المهاجرين، وفي توتر شديد مع الغرب الذي ظل يتدخل في الشأن الروسي عبر بوابة إدانة انتهاكات حقوق الإنسان الجسيمة في الشيشان وشمال القوقاز. وعقب إعلان بوتين عن نهاية الحرب في نيسان/ أبريل 2009، حتى استقر الوضع نسبيًا مع تنصيب حكومة محلية شيشانية موالية لموسكو. لكن منذ نهاية عام 2009 تقريبًا إلى بداية عام 2010، تصاعد العنف في منطقة شمال القوقاز بأكملها، وظهر العديد من التمردات الساخنة خارج جمهورية الشيشان في جمهوريات الحكم الذاتي في القوقاز؛ إذ شهدت منطقة شمال القوقاز زيادة في «الهجمات الإرهابية» بنسبة 300 في المئة خلال الأشهر الثمانية الأولى من عام 2010، مقارنة بالفترة نفسها من عام 2009[48]. غير أنها لم تشكّل خطرًا شديدًا، ولم ترتفع وتائرها وتتسع نطاقاتها إلا مع التفاعل مع التطور الدرامي المتسارع للأحداث في سورية، وقد حكمت المسألة الشمال قوقازية سياسة بوتين في الحرب الشيشانية الثانية (1999-2009)، وشكّلت عقدة نفسية سياسية في اعتقاداته الفلسفية والأدواتية الأمنية اقتربت من الفوبيا، طوال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين حتى التدخل الروسي المباشر في سورية (2015).

2. الأحداث السورية قادحًا لاضطرابات شمال القوقاز الجديدة (2011-2015)

مع التطور المأساوي للأحداث في سورية وبروز دور الجماعات الإسلامية، عاد شمال القوقاز مرة أخرى إلى التوتر والغليان. وقد صنّف جهاز الأمن الاتحادي الروسي منذ عام 2011 نحو 52 رجلًا قياديًا ومقاتلًا في الجماعات الإسلامية القوقازية المتطرفة بأنهم «أخطر المتمردين في شمال القوقاز، وأنهم قادرون على شنّ هجوم في أيّ جزء من روسيا»[49]. وفي عام 2012، سُجّل ما لا يقل عن 100 حالة وفاة شهريًا متعلقة بالتمرد المستمر في شمال القوقاز[50].

وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2012، ارتفعت وتائر الالتهاب في شتى أنحاء العالم الإسلامي التي تُلتقط فيها قناة **الجزيرة** الإخبارية، وفي عدادها منطقة شمال القوقاز في روسيا، حين دعا الشيخ يوسف القرضاوي إلى اعتبار روسيا وإيران عدوتين للأمة الإسلامية لمساندتهما نظام الأسد في قتل السنّة، وانتشرت هذه الدعوة في شتى أرجاء العالم الإسلامي التي تلتقط بث قناة **الجزيرة**، بما فيها الخاصرة الأمنية الهشة في شمال القوقاز. وردّ عليه رمضان قادروف، رئيس جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتي المستقل في روسيا ورجل بوتين في القوقاز، بأن تصريحه موجّه «ضد ملايين المسلمين الروس». وقد أصدرت دار الفتوى لمسلمي روسيا بيانًا جاء فيه أن كلام القرضاوي بمنزلة «دعوة صريحة لعدم الانصياع لقوانين بلادهم وانتهاكها»، ودعتهم إلى عدم سماع ما يقوله[51]. ووقعت في إثر هذا الغليان في عام 2013 ثلاث عمليات انتحارية في 21 تشرين الأول/ أكتوبر و29 و30 كانون الأول/ ديسمبر، هزت مدينة فولغوغراد، وهي مدينة مهمة على نهر فولغا؛ ما أسفر عن مقتل 41 شخصًا وإصابة العشرات[52].

---

47 Anne L. Clunan, "Russia's Pursuit of Great-power Status and Security," in: Kanet (ed.), p. 10.

48 Aslan Souleimanov, "The North Caucasus Insurgency: Dead or Alive," Strategic Studies Institute, US Army War College, 1/2/2017, p. 2, accessed on 5/4/2022, at: https://bit.ly/3LQBMUf

49 Pieter Van Ostaeyen & Guy Van Vlierden, "Citizenship and Ancestry of Belgian Foreign Fighters," *ICCT Policy Brief*, The International Centre for Counter-Terrorism (ICCT) (May 2018), p. 10, accessed on 19/3/2022, at: https://bit.ly/3P2ChPQ

50 Souleimanov, p. 2.

51 "قادروف: القرضاوي يخطئ حين يعتبر روسيا 'عدوة الإسلام' وعليه إعادة النظر في ذلك"، **آر تي العربية**، 2012/11/10، شوهد في 2022/3/11، في: https://rb.gy/8f2yyn

52 Souleimanov, p. 3.

إن ما كانت تخشاه روسيا من تداعيات الثورات العربية على منطقة شمال القوقاز بقيام انتفاضات مماثلة قد حدث بصورة حادة[53]، فما عدا التظاهرات الواسعة التي شملت المدن الروسية الكبيرة، وفي قلبها موسكو وبطرسبورغ، ضد تزوير انتخابات مجلس الدوما في أواخر عام 2011 ردًا على ما شابَها من تزوير لصالح حزب بوتين (حزب روسيا الموحدة)، والتي رأى فيها بوتين نوعًا من ثورة ملونة يقف خلفها الغرب[54]، جرت في عام 2012 تظاهرات كبرى في شمال القوقاز ضد الحكومة الروسية، ودعا المتظاهرون علنًا في مدينة قازان إلى إطاحة الحكومة الروسية التي تزود النظام السوري بالأسلحة، ووجّهوا رسائل إلى الأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي ينددون فيها بـ «النظام السياسي الدموي» في روسيا وتتارستان التي تقع في شمال القوقاز، وأقاموا صلاة الغائب على شهداء «نظام الأسد الدموي». وامتدت التظاهرات إلى داغستان وعدد من مناطق شمال القوقاز، ودعت إلى الدعاء بالنصر للحركة الإسلامية في سورية التي تريد إقامة «شريعة الله»، وإلى إزالة الأعلام الروسية، وحاول بعضهم اغتيال بعض رجال الدين الرسميين[55].

ووصف العديد من المحللين الروس هذه التظاهرات في شمال القوقاز بأنها تشبه إلى حد بعيد سيناريو «الثورات العربية من النوع الذي حدث في تونس ومصر في عام 2011»[56]. وبتأثير المخاوف الأمنية الروسية من شدة تفاعل الشيشان والشركس عمومًا مع الأحداث في سورية، رفض مجلس الدوما الروسي في عام 2013، صراحةً، الدعوات التي أطلقها الشركس في شمال القوقاز للحكومة الروسية لمعاملة الشركس السوريين بوصفهم مواطنين روسًا في جمهوريتهم، ما سيسمح بإعادتهم إلى روسيا[57].

لقد اضطر وزير الخارجية الروسية لافروف، في 29 تشرين الأول/ أكتوبر 2012، لتهدئة الغليان الإسلامي ضد روسيا، إلى أن صرح بأن موسكو لا تزود النظام بالأسلحة، بل تنفذ عقودًا سابقة من المرحلة السوفياتية، وهي ذات طبيعة دفاعية ولا تنتهك المعاهدات الدولية، وهي موجّهة إلى دعم القدرات الدفاعية السورية في مواجهة التهديدات الخارجية، وليس دعم الأسد. واتهم القوى الأجنبية بتزويد المعارضة بالأسلحة، مشيرًا إلى أن هذه الأسلحة قد تقع في يد تنظيم القاعدة[58]. لكنّ هناك جانبًا آخر للتصريح يتمثل في الضغط السياسي على الأسد، كي يبدي تجاوبًا مع الحل السياسي للأزمة وفق بيان جنيف (1) في 30 حزيران/ يونيو 2012، الذي يقضي بتشكيل حكومة انتقالية بالاشتراك بين المعارضة والحكومة السوريتين. ثم الاستعاضة عن الضربة العسكرية الأميركية - الغربية المقترحة، ردًا على استخدام النظام السلاح الكيميائي ضد مقاتلي المعارضة في غوطة دمشق في آب/ أغسطس 2013، بتسوية روسية - أميركية تقوم على انضمام سورية إلى منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، وإتلاف مخزونها الكيميائي[59]. لم يكن بوتين حين توصّل مع باراك أوباما إلى هذه الصفقة يفكر في النظام فحسب، بل في احتمال أن تقع هذه الأسلحة، في حال عدم تدميرها، في أيدي المتطرفين، ومن بينهم، بحسب المعطيات الأمنية الروسية، كتيبة شيشانية يمكن أن تستخدمها ضد دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في سوتشي عام 2014[60]. ويعكس ذلك طبيعة العقيدة الأمنية ومنهج تفكيرها الاستباقي الخاص، وهي عقيدة تقوم على المخاطر الأمنية المدركة كما يدركها صاحب القرار، وليس على المخاطر الموضوعية كما هي قائمة في الواقع؛ فالمخاطر المبالَغ فيها بالنسبة إلى الآخرين هي مخاطر ماثلة وحقيقية في الإدراك الأمني.

---

53 Donaldson & Nadkarni, p. 329.

54 في 4 كانون الأول/ ديسمبر 2011 جرت انتخابات مجلس الدوما، وفاز حزب "روسيا الموحدة" الذي يقوده بوتين بأغلبية مقاعده (238 مقعدًا من أصل 440). ثم جرت، في 10 كانون الأول/ ديسمبر 2011، أكبر تظاهرة شهدها التاريخ البرلماني لروسيا الاتحادية، وشارك فيها ما يراوح بين 50 و80 ألفًا، كما جرت تظاهرات مماثلة في المدن الروسية الكبرى الأخرى احتجاجًا على ما شاب الانتخابات من تلاعبات وخروق، ينظر: قلعجية، ص 64.

55 Malashenko, p. 17

56 Ibid., p. 18.

57 Allison, p. 804.

58 "Russia Supplying Arms to Syria under Old Contracts: Lavrov," *Reuters*, 5/112012, accessed on 13/3/2022, at: https://reut.rs/3wFvFOp

59 Averre, p. 402.

60 Donaldson & Nadkarni, p. 431.

3. تدفق مقاتلي شمال القوقاز إلى سورية

حدث تدفق كبير من الأجانب إلى سورية قبل إعلان تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الخلافة الإسلامية. لكن التدفق شهد ارتفاعًا كبيرًا مع الإعلان، في 29 حزيران/ يونيو 2014، عن قيام الخلافة ومبايعة أبي بكر البغدادي خليفةً، وكان في عدادهم دفعات جديدة من مقاتلي شمال القوقاز في روسيا.

قدّرت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، في أيلول/ سبتمبر 2014، عدد المقاتلين في داعش بما يُراوح بين 20 ألفًا و31500 مقاتل، بينما قدّرهم رئيس جهاز الأمن الاتحادي الروسي FSB بما يراوح بين 30 و50 ألفًا. وقدرت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عدد المقاتلين الأجانب بينهم بنحو 16 ألفًا، في حين قدّرتهم وزارة الخارجية الروسية بنحو 25 ألفًا[61]. وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 2015، قدّر جهاز الأمن الاتحادي الروسي عدد المقاتلين في داعش من الشيشان وداغستان بدرجة أساسية بنحو 2400 مقاتل[62]. وارتفع عدد المقاتلين الشمال القوقازيين في داعش بعد التدخل الروسي المباشر بمعدلات قياسية؛ إذ قدّرهم أكثر من مصدر بنحو 7000 مقاتل[63]. بينما قدرتهم دراسات أخرى بنحو 5000 - 7000 مقاتل؛ ما جعل من اللغة الروسية أكثر اللغات انتشارًا في التخاطب، وفي التداول في أوساط داعش، فجاءت مرتبتها بعد اللغة العربية في التخاطب[64].

وبغضّ النظر عن مدى دقة هذه الأرقام، فإن بعض الصحافيين الاستقصائيين استنتجوا أن من دفع بمقاتلي شمال القوقاز إلى القتال مع داعش، والتنظيمات الإسلامية المتطرفة الأخرى في سورية، هو جهاز الأمن الاتحادي الروسي نفسه، الذي أجبر، بصورة مباشرة وغير مباشرة، أولئك المقاتلين على التوجه إلى سورية عن طريق تركيا، لئلا يشوّشوا على دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في سوتشي في 3 - 23 شباط/ فبراير 2014 بعمليات جديدة محتملة. لكن هذه المزاعم ليست مؤكدة، ومعلوماتها ليست واضحة[65].

غير أن ما هو مقنع فيها أن سلسلةً من التفجيرات الانتحارية قبل دورة الألعاب الأولمبية الشتوية لعام 2014 في سوتشي قد خلقت هذا القلق الأمني، حيث كان زعيم إمارة القوقاز الإسلامية المبايعة لتنظيم القاعدة، قد دعا أتباعه إلى مقاطعتها وتعطيلها، ووصفها بأنها رقص شيطاني على عظام أسلافنا[66]. وفي هذا السياق، يمكن فهم أهمية القلق الأمني في غضّ جهاز الأمن الروسي الاتحادي النظر عن انتقال القوقازيين إلى سورية عن طريق تركيا، التي يمكن أن يدخلوها من دون تأشيرات دخول، ومنها إلى سورية، لتقليص عددهم والتخلص منهم في مرحلةٍ فتحت فيها الحكومة التركية حدودها أمام كل من يرغب من الأجانب في العبور إلى سورية[67].

61 Alexey Vasiliev, *Russia's Middle East Policy from Lenin to Putin* (New York: Routledge, 2020), p. 453.

62 Włodkowska-Bagan, p. 29.

63 Ibid., p. 29; Vasiliev, p. 517.

64 Colin P. Clarke, *Jihadist Violence in the Caucasus Russia Between Counterterrorism and Counterinsurgency* (Santa Monica, CA: Rand Corporation, 2017), p. 5, accessed on 2/3/2022, at: https://bit.ly/3wuk0Sm

65 Borshchevskaya, p. 19.

66 Zachary Laub, "Background Briefing: Why is Russia's North Caucasus Region Unstable?" *PBS*, 7/2/2014, accessed on 18/2/2022, at: https://to.pbs.org/3NjD5g0

67 Lund, p. 42.

ونتيجةً لذلك، تراجعت وتيرة العمليات في جميع أنحاء منطقة شمال القوقاز منذ عام 2013 تقريبًا، بمعدل قدّره البعض بنحو 50 في المئة[68]، وقدّره بعض آخر بنسبة قريبة هي 47 في المئة[69]. وفي عام 2014، نُشر أن قادة إمارة القوقاز، التي أُعلن عنها رسميًا في تشرين الأول/ أكتوبر 2007، قد بايعوا تنظيم الدولة الإسلامية، وحوّلوا ولاءهم من تنظيم القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، وشكّلت احتمالات عودة المقاتلين الأكفاء وذوي الخبرة وأشدهم عنفًا إلى روسيا مصدر قلق كبير للنظام الروسي[70]، وجرى تحوّل في أولوياتهم، فبدلًا من إعطائهم الأولوية للهجمات المحلية على المسؤولين الروس أعطوها للعمل الجهادي الخارجي في سورية والعراق. وشكلوا مع المقاتلين الأجانب نسبة كبيرة من قيادات جبهة النصرة وداعش؛ إذ شكلوا قبل انشقاق جبهة النصرة عن داعش نحو 40 في المئة من قيادة الجبهة[71]. وبعد انضمام معظم الشمال قوقازيين إلى داعش، برز بينهم جيش المهاجرين الذي أسسه الجورجي الشيشاني عمر الشيشاني، الذي أصبح من أبرز القادة العسكريين لداعش، وقاد عملية الاستيلاء على محافظة دير الزور خلال معارك استمرت من نيسان/ أبريل إلى تموز/ يوليو 2014[72]. وإبان القتال العنيف في حزيران/ يونيو 2015 بين داعش وجبهة النصرة في دير الزور، تحوّل ولاء معظم قادة الجماعات الجهادية الروسية في القوقاز الروسي والشيشان وداغستان من جبهة النصرة إلى داعش[73].

طورت روسيا، في ظل التدفق الشمال قوقازي إلى سورية، والخوف الأمني من عودته مجددًا إلى شمال القوقاز، بعد سيطرة الإسلاميين على سورية، ووقوع عدة عمليات تمثلت ذروتها في عملية كانون الأول/ ديسمبر 2014 وهددت بتطور العمليات في الشيشان نفسها بعد أن هدأت نسبيًا، وانتقلت إلى شمال القوقاز[74]، البعدَ الأمني في عقيدتها العسكرية الرسمية في 26 كانون الأول/ ديسمبر 2014 ليناسب التهديدات الأمنية غير الدولتية، وهي رابع عقيدة عسكرية في تاريخ الاتحاد الروسي، على أساس «الاعتراف بانعدام إمكانية التمييز بين الأمن الداخلي والخارجي، والتهديدات العسكرية وغير العسكرية»[75]. ووضعت في عداد ما وصفته بالتعاون العسكري - السياسي والعسكري - التقني «نشاط المنظمات الإرهابية والأفراد الساعين لتقويض سيادة روسيا الاتحادية، وانتهاك وحدة أراضيها وسلامتها، وإثارة التوترات والنعرات العرقية الاجتماعية والتطرف والتحريض على العداوة والكراهية العرقية والدينية»[76]. وجاء في العقيدة «مكافحة الإرهاب على أراضي روسيا الاتحادية، ومكافحة الأنشطة الإرهابية الدولية خارج أراضيها»[77]، وفي ذلك إشارة ضمنية إلى سورية.

---

68 Halbach, p. 25; Carl Lamp, "Russia's Repatriation of ISIS Members," Foreign Policy Research Institute, 12/4/2019, accessed on 19/3/2022, at: https://bit.ly/36Fi92a; Anna Arutunyan, "ISIS Returnees Bring Both Hope and Fear to Chechnya," International Crisis Group, 26/3/2016, accessed on 18/3/2022, at: https://bit.ly/3qtSbbZ

69 انخفضت عمليات العنف في شمال القوقاز بنحو 47 في المئة؛ وذلك ما يمثل أكبر انخفاض مفاجئ في العنف في تاريخ التمرد الإقليمي. فبالأرقام المطلقة، قُتل 37 شخصًا فقط في عام 2014، وهو انخفاض حاد مقارنة بـ 104 ضحايا مدنيين في عام 2013. بينما قُتل 424 شخصًا محسوبًا على جهاز الأمن في عام 2013، وانخفض العدد بمقدار النصف تقريبًا إلى 221 حالة قتل في العام التالي. في حين نفذ الجهاديون في شمال القوقاز 100 تفجير في عام 2013، ثم تقلص هذا العدد إلى أقل من 25 في عام 2014. ومن ناحية أخرى، قُتل نحو 248 متمردًا فقط في عام 2014، نتيجة غارات مكافحة التمرد، مقارنة بـ 298 في عام 2013. ينظر: Souleimanov, p. 3.

70 Mariya Y. Omelicheva, "Russia's Regional and Global Counterterrorism Strategies How Moscow's Vision of the New Global Order Effects its Approach to Terrorism," in: Kanet (ed.), p. 268.

71 Mete Ahmet, "Foreign Fighters in Syria: An Assessment of Jihadist Foreign Fighters in the Syrian Conflict," Thesis for: MA thesis in International Relations, King's College London, 2015, p. 23, accessed on 19/3/2022, at: https://bit.ly/36JJu3p

72 Ibid., pp. 22 - 27.

73 Lavrov, p. 47.

74 قام بها المجاهدون الشيشان في كانون الأول/ ديسمبر 2014، حيث تمكنوا من اختراق وسط مدينة غروزني، والسيطرة على أحد مراكزها الإدارية المهمة، وقتل في الاشتباكات ما لا يقل عن 14 ضابطًا من الشرطة الشيشانية الخاصة التابعة للحكومة الشيشانية الموالية لموسكو، ينظر: Souleimanov, p. 4.

75 قلعجية، ص 149.

76 المرجع نفسه، ص 124؛ ينظر النص الكامل للعقيدة، ص 118 - 146.

77 المرجع نفسه، ص 132.

غدت النخب الروسية تؤمن إيمانًا راسخًا بأن سقوط النظام وانهيار الدولة سيؤدي في نهاية المطاف إلى إرسال مقاتلين متطرفين إلى القوقاز وآسيا الوسطى[78]، وعبّرت وزارة الخارجية الروسية عن هذه الاعتقادات الأمنية رسميًا بأن فشل الدولة في سورية، على النمط الليبي، سيكون «تهديدًا مباشرًا لأمننا القومي»[79]. عكس ذلك هيمنة وجهة نظر الكرملين الأمنية القومية القائلة إن أيّ نظام استبدادي أطيح به، خاصة تحت شعارات مكافحة الفساد، يشكّل سابقة خطيرة ونموذجًا جذابًا محتملًا يمكن أن يحدث في شمال القوقاز وجمهوريات آسيا الوسطى. تتعلق الفرضية الجيوسياسية بوجهة النظر القائلة إن الربيع العربي كان أميركيًا لتثبيت أنظمة موالية لواشنطن، وإن التدخلات الغربية، على غرار ما حدث في ليبيا، وتثبيت تلك الأنظمة لا يؤدي إلى إضعاف روسيا فحسب، بل إلى ما هو أهم من ذلك، إذ يمثل تهديدًا لروسيا واستقرارها الداخلي[80]؛ وإن البرنامج التدريبي، الذي أجرته وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، بتكلفة 500 مليون دولار أميركي، لتجنيد الفصائل العسكرية السورية المعارضة المعتدلة ضد تنظيم داعش وتسليحها، ينطوي غرضه السياسي على إسقاط المتطرفين من داعش والسماح لتلك الفصائل بإسقاط النظام وإنشاء نظام موالٍ للولايات المتحدة. وقد أوقف دونالد ترامب، بعد وصوله إلى البيت الأبيض، هذا البرنامج التدريبي؛ نظرًا إلى إخفاق البرنامج، والتحاق من جرى تدريبهم مع أسلحتهم بالفصائل الإسلامية المتطرفة، بدلًا من قتالها[81].

في إثر حصوله على موافقة مجلس الدوما الروسي على التدخل الجوي دون البري، صرّح بوتين بأنه إذا لم تقتل روسيا الإرهابيين في سورية، فسيعودون حتمًا إلى بلدانهم الأصلية، بما في ذلك روسيا، وسيشنّون هجمات إرهابية هناك. لقد كان التدخل في سورية، وفقًا لبوتين، يتعلق بمحافظة روسيا على نفسها[82]. وفي مقابلة أجريت معه قبل بدء التدخل، قال: «نحاول منع خلق فراغ في السلطة في سورية، لأنه سرعان ما سيملأ 'الإرهابيون' هذا الفراغ، كما هو الحال في ليبيا والعراق، وفي بعض البلدان الأخرى»، وقال في تصريح آخر إن هناك تهديدًا بعودتهم إلى روسيا، ومن الأفضل التخلص منهم هناك بدلًا من الانتظار حتى يعودوا إلى هنا. وقبل يومين من التدخل، ألقى بوتين خطابًا أمام الأمم المتحدة غطى فيه الموضوعات التقليدية مثل رفض الأحادية الأميركية بعد الحرب الباردة وتوسّع الناتو، واتهم الغرب بإثارة الثورات والاحتجاجات في جميع أنحاء العالم، وأشار إلى أن واشنطن مسؤولة عن المشكلات في الشرق الأوسط. لكنه اقترح فكرة كان يروّج لها قبل الخطاب، وارتبطت بقراره الضمني بالتدخل المباشر في سورية، وهي: قيادة تحالف دولي مناهض لتنظيم داعش في سورية[83].

يخلص هذا الجزء إلى أن ما حكم قرار التدخل المباشر وتوقيته ليس الاعتبارات الجيوسياسية والاقتصادية والتجارية العسكرية والطاقية وغيرها، بل كان بدرجة أساسية حماية النظام من السقوط خشية أن تملأ التنظيمات الإسلامية الفراغ الناجم عن سقوطه، وتصفية القوقازيين في سورية لتفادي عودتهم إلى القوقاز وجمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية السابقة[84]. فكان الخوف الأمني السياسي بشأن تماسك الدولة داخل سورية، وداخل دول «الجوار القريب» أي آسيا الوسطى، هو الدافع الأساسي الحاسم للتدخل

78 Michael Kofman, "Syria and The Russian Armed Forces and Evaluation of Moscow's Military Strategy and Operational Performance," Foreign Policy Research Institute (September 2020), p. 39, accessed on 19/3/2022, at: https://bit.ly/3iw0jkQ; Malashenko, p. 20.

79 Lund, p. 22.

80 Rodkiewicz, pp. 14 - 15.

81 Ibid., p. 27.

82 Borshchevskaya, p. 89.

83 Ibid., p. V.

84 Wlodkowska-Bagan, pp. 32-33; Omelicheva, p. 272.

أكثر من أيّ تضامن عميق مع القيادة السورية، أو من فوائد مادية للعلاقات معها[85]. ومن هنا، لم تكترث روسيا بما عرضه عليها رئيس الحكومة السورية وائل الحلاق، في تموز/ يوليو 2015، من رغبة سورية في إنشاء منطقة حرة مع روسيا وبيلاروسيا وكازاخستان، وفي انضمامها إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي EEU الذي أنشأته روسيا في إطار البعد الأوراسي الذي أضفاه بوتين على السياسة الخارجية الروسية. وظل الأسد يلحّ على ذلك، لكن روسيا لم تكترث بهذا الإلحاح[86]، وألحّت في المقابل خلال الفترة 2012 - 2015 على مصر وإيران وإسرائيل لتشكيل منطقة تجارة حرة مع الاتحاد الاقتصادي الأوراسي[87].

4. التدخل المباشر

مع منتصف عام 2015، برزت مؤشرات قوية على احتمال سقوط النظام السوري؛ إذ لم يعد يسيطر على أكثر من 20 - 30 في المئة من الأراضي السورية[88]. وقد طلبت الحكومة السورية، في تموز/ يوليو 2015، رسميًّا من روسيا التدخل العسكري المباشر. وفي 26 آب/ أغسطس 2015، وقّعت الحكومتان السورية والروسية على اتفاقية بشأن ذلك[89]. وبحلول أيلول/ سبتمبر 2015، أجرت القوات الروسية تدريبات عسكرية، كانت من أكبر التدريبات السنوية في وسط روسيا، تحاكي هجومًا على آسيا الوسطى[90].

أعلن بوتين عشية التدخل أن العملية الروسية في سورية ستكون لفترة محدودة، وستقتصر على الدعم الجوي للجيش السوري على الأرض[91]. ومع أن روسيا لم تحقق النصر السريع الذي توقّعه بوتين في البداية، فإن الخسائر العسكرية الروسية كانت تشير إلى أن سورية لم تصبح «مستنقعًا» لروسيا كما توقّع أوباما[92]. بينما اختار الغرب تشكيل تحالفه الدولي ضد داعش. وعلى الرغم من تباين رؤيتي روسيا والولايات المتحدة للمسألة السورية وتعارضهما في كثير من الأحيان والمواقف، فقد حرصتا على عدم الاصطدام، حتى في ذروة انتشار حديث القادة الروس والرئيس الأميركي ترامب نفسه عن عودة الحرب الباردة بين روسيا والولايات المتحدة بأشد مما كانت عليه[93].

وفي عام 2017، قامت وحدات من شركة ڤاغنر الروسية الخاصة Wagner Group، المرتبطة بالاستخبارات الروسية، بتجنيد المرتزقة، وهاجمت البلدات ومواقع النفط التي انسحب منها داعش، ولم تهتمّ بالتحذيرات الأميركية لها من التقدم، واشتبكت مع قوات سوريا الديمقراطية «قسد» SDF المدعومة من الولايات المتحدة. لكن تمكّن الروس والأميركيون، في اجتماع أمني رفيع المستوى في واشنطن كان الأول لهما منذ

---

85 Allison, p. 795; Jay Mens, "Footing the Bill: Russian and Iranian Investment and American Withdrawl in Syria," *Journal of European, Middle Eastern & African Affairs (JEMEAA)*, vol. 1, no. 2 (Winter 2019), p. 80, accessed on 22/2/2022, at: https://bit.ly/3pVUu47

86 استمر الأسد شخصيًا في الضغط من أجل الدخول إلى الاتحاد الجمركي حتى أواخر عام 2017، وظلت سورية على قائمة الدول المهتمة في عام 2019. لكن وضع دخول سورية في الاتحاد الجمركي غير واضح. ينظر: Borshchevskaya, p. 162.

87 Nikolay Kozanov, "Russian Policy Across the Middle East Motivations and Methods," Chatham House (February 2018), pp. 15-16, accessed on 6/4/2022, at: https://bit.ly/3urqJLk

88 Lavrov, p. 35; Vasiliev, p. 490.

89 Sarah Lain & Igor Sutyagin, "The View From Moscow," Royal United Services Institute for Defence and Security Studies (August 2016), p. 20, accessed on 15/2/2022, at: https://bit.ly/3JCb4ht

90 Lain & Sutyagin, p. 19; Vasiliev, p. 490; Borshchevskaya, p. 69.

91 Borshchevskaya, p. 90.

92 Lavrov, p. 37.

93 في مؤتمر مونيخ 2016، وعلى خلفية قضايا متعددة، قال ميدڤيدڤ رئيس الوزراء الروسي: "نحن ندخل بسرعة في فترة جديدة من الحرب الباردة [...] أشعر أحيانًا بالذهول: أهذا عام 2016 أم عام 1962؟"، ينظر:
Henry Meyer, Ian Wishart & Andrey Biryukov, "Russia's Medvedev: We Are in 'a New Cold War'," *Bloomberg*, 13/2/2016, accessed on 14/3/2022, at: https://bloom.bg/37NV260;
وفي (نيسان/ أبريل 2018)، أعلن الرئيس ترامب على تويتر: "علاقتنا مع روسيا الآن أسوأ منها في أي وقت مضى، وهذا يشمل الحرب الباردة"، ينظر: McFaul, p. 96.

أزمة الصواريخ في كوبا عام 1962، من احتواء ذلك، والاتفاق على آلية لعدم الاشتباك[94]. وظهر منذ نهاية الحرب الباردة شبح أول سيناريو لاصطدام عسكري أميركي - روسي في سورية، حين أمر ترامب في صباح 14 نيسان/ أبريل 2018 بتوجيه ضربة صاروخية إلى منشآت سورية ردًا على ما اتّهم به النظام، في نيسان/ أبريل 2018، من استخدام أسلحة كيميائية في مدينة دوما. لكن الضربة كانت محدودة جدًّا[95]. وأوضح ترامب أن وظيفتها ردعية، لكي لا يستخدم النظام السوري هذه الأسلحة مرة أخرى، وأوضح وزير الدفاع الأميركي محدوديتها بأنها لا تمثّل بداية حملة عسكرية أميركية أوسع، ولا تحولًا أكبر في سياسة الولايات المتحدة في سورية. وقد أعلن ترامب، منذ أوائل نيسان/ أبريل 2018، عن عزمه على سحب القوات الأميركية من سورية، ولم تعُد لديه أيّ أولويات فيها، نظرًا إلى تركيزه على أولويات أخرى لها عواقب أمنية أكبر على بلاده، تتعين في معالجة التهديد النووي الذي تمثله كوريا الشمالية، وإدارة المنافسة الطويلة الأمد مع الصين في آسيا، ومواجهة روسيا الصاعدة في أوروبا الشرقية، ومنع إيران من تطوير قدراتها على إنتاج أسلحة نووية[96].

ويستنتج من ذلك أنه على الرغم من ارتفاع نبرة الحرب الباردة على مستوى اللهجة والخطاب، فإن الطرفين الروسي والأميركي حرصا على عدم الاصطدام؛ فتعديلات استراتيجية الأمن القومي الروسي عام 2015 التي وُضعت بعد الأزمة الأوكرانية الأولى وارتفاع التوتر بين روسيا والغرب، حرصت على استعادة علاقة بنّاءة مع الولايات المتحدة وحلفائها. في حين وجد حلفاء واشنطن الأوروبيون أنفسهم في موقف أقرب إلى الروس منه إلى الولايات المتحدة، بعد أن انسحب ترامب في أيار/ مايو 2018 من الاتفاق النووي مع إيران[97]. هذا الحرص سيتغير جذريًا في استراتيجية عام 2021، التي شكلت إطار تحول روسيا من التعاون مع الغرب إلى مواجهته، ومهّدت لرسالة طلب الضمانات الأمنية وانفجار الأزمة الأوكرانية الثانية عام 2022، التي شهدت حربًا باردة حقيقية بين روسيا والناتو، فخلت تمامًا من ذكر اسم الاتحاد الأوروبي حتى لو بصفته شريكًا محتملًا، وظل تقسيم المناطق الجيوسياسية في الأولويات الإقليمية كما كان سابقًا مع بعض التعديلات. لكن مكانة الشرق الأوسط ظلت ضعيفة ومحدودة الحضور، وجرت المواجهة الجديدة خارجه[98]. لقد حرص الطرفان الأميركي والروسي على تجنّب أيّ مواجهة في سورية؛ فالولايات المتحدة وضعت خطة انسحاب من الشرق الأوسط، ولم تتضح بعدُ سياسة روسية منهجية فيه، بل أعلن بوتين في آذار/ مارس 2016 سحب روسيا «الجزء الرئيس» من قواتها العسكرية من سورية، مبررًا ذلك بإنجاز القوات المسلحة الروسية مهماتها هناك. وقد أدى ذلك إلى مغادرة بعض القوة الضاربة ذات الأجنحة الثابتة من قاعدة حميميم الجوية وعودة المعدّات والأفراد إلى روسيا. لكن سرعان ما أعلن نائب وزير الدفاع الروسي أن بلاده ستواصل الضربات الجوية[99]، وما زالت تواصلها حتى اليوم.

قلب التدخل الروسي المباشر موازين القوى الميداني في شمال سورية وجنوبها، بينما كان شمال شرق سورية تحت رحمة التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. ويخرج التشعب في هذا المجال عن حدود هذا البحث. لكن يمكن القول إن المرحلة النشطة من العملية العسكرية الروسية استغرقت 804 أيام من 30 أيلول/ سبتمبر 2015 - 11 كانون الأول/ ديسمبر 2017، ونفّذت فيها الطائرات الروسية أكثر من 44 ألف طلعة جوية قتالية. وقتلت، وفق الأرقام التي قدّمها وزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو، أكثر من 133 ألف مسلح، من بينهم 4500 مقاتل من الاتحاد الروسي وبلدان رابطة الدول المستقلة. وأسفرت عن قتل ما مجموعه

94 Lavrov, p. 34; Dimitry Trenin, "What Drives Russia's Policy in the Middle East?" in: Dimitar Bechav, Nicu Popescum & Stanislav Secrieru (eds.), *Russia Rising: Putin's Foreign Policy in the Middle East and North Africa* (New York/ London: I. B. Tauris, 2021), pp. 24 - 25.

95 Lavrov, p. 34.

96 Christopher J. Bolan, "Strategic Insights: After the Smoke Clears in Syria: Dilemmas for U.S. Strategy Remain," Strategic Studies Institute, 18/5/2018, p. 2, accessed on 6/4/2022, at: https://bit.ly/3re82sB

97 Trenin, "What Drives Russia's Policy in the Middle East," p. 22.

98 Michel Duclos, "Russia's National Security Strategy 2021: The Era of 'Information Confrontation, Institut Montaigne'," Institut Montaigne, 2/8/2021, accessed on 12/2/2022, at: https://bit.ly/36o3p85

99 Lain & Sutyagin, p. 18.

865 رجلًا من قادة التنظيمات، وتدمير منشآتهم وفي قلبها محطات التصفية والوقود التي تشكل مصدرًا أساسيًا لمواردهم. لقد اعتبرت موسكو المسلحين سلة واحدة، ولم تميّز على طريقة واشنطن بين معتدلين ومتطرفين فيهم. واعتبر شويغو أن العملية العسكرية الروسية حققت أهدافها في الحفاظ على الدولة السورية من الانهيار، وهزيمة الجماعات الإرهابية، وعدم تمكّن أيّ مقاتل روسي منهم من العودة إلى روسيا. وهما الهدفان اللذان حددهما بوتين للعملية الروسية في سورية[100].

نجم عن العملية الروسية سيطرة الحكومة السورية على نحو 70 في المئة من الأراضي، بعد أن كانت سيطرتها لا تتجاوز قبل التدخل الروسي نحو 20 - 30 في المئة[101]. لكن مناطق واسعة في محافظة إدلب وريف حلب الشمالي وشمال شرق سورية ظلت خارج سيطرتها.

5. ماذا كسبت روسيا من سورية؟

أ. الخبرة العسكرية الميدانية

منذ الحرب في أفغانستان في الثمانينيات، لم يكتسب الجيش الروسي قدرًا غير مسبوق من الخبرة فحسب، بل أدخل أيضًا بموجب تلك الخبرة تحسينات كبيرة على التكتيكات والاستراتيجيات[102]، وتحولت سورية إلى مختبر تدريبي لصقل مهارات الضباط والجنود الروس. ففي غضون ثلاث سنوات من بدء التدخل، تناوب نحو 68 ألف ضابط وجندي محترف على اكتساب خبرة ميدانية، وتناوب جميع قادة المناطق العسكرية في روسيا على مركز حميميم ليكتسبوا الخبرة في قيادة العمليات المشتركة، ثم عمل حوالى 87 - 97 في المئة من أطقم الطيران القتالي في نوبات في سورية مرةً واحدة على الأقل[103]. وارتفع دور وزارة الدفاع في عملية صناعة القرار في سورية، حيث باتت مسؤولة عن المصالحات والتسويات بين الفصائل المعارضة والنظام[104]، واكتسبت قوات الشرطة العسكرية الروسية الشيشانية خبرة واسعة وكبيرة في التدخل الخارجي تحت عنوان عمليات السلام، وكان أول اختبار لها دورها في قوات حفظ السلام التي أرسلتها روسيا إلى جنوب القوقاز عقب الحرب الأذربيجانية - الأرمنية في أيلول/ سبتمبر 2020، مستفيدة من خبرتها العملية في سورية[105].

ب. اختبار جيل جديد من الأسلحة وتطويرها

اختبرت روسيا حوالى ثلاثمئة نوع جديد من أسلحة الجيل الجديد والمعدات العسكرية في ظروف قتالية حقيقية. فقد تأكد نجاح الجيش الروسي في استخدامه الأول لأسلحة ذات دقة عالية وبعيدة المدى، مثل الجيل الجديد من الذخيرة الدقيقة للطائرات المقاتلة والمروحيات، وتضمنت أيضًا العديد من الأمثلة المتبقية في مرحلة التطوير والنماذج الأولية، مثل: مقاتلات Su-57، وطائرات من دون طيار متوسطة الارتفاع، ومركبات جوية صغيرة من دون طيار UAVs مع محددات أهداف الليزر للمدفعية والطيران، وتحديث صواريخ الدفاع الجوي ومعدات الحرب الإلكترونية. وجرت تجربة تصميمات أكثر غرابة، مثل الروبوت Uran-9 المدجج بالسلاح

100 "Russia's Military Operation in Syria was Necessary, Helped to Defeat IS - Defense Minister," *Tass*, 30/9/2020, accessed on 15/2/2022, at: https://bit.ly/3Le33Q4

101 Lavrov, p. 35; Vasiliev, p. 490.

102 Lavrov, p. 89.

103 Ibid., p. 36

104 Westerlund, p. 44.

105 Emmanuel Dreyfus, "The Russian Military Police, from Syria to Karabakh," *PONARS Eurasia Policy Memo*, no. 688, The Program on New Approaches to Research and Security in Eurasia (PONARS Eurasia) (January 2021), pp. 1-3, accessed on 18/3/2022, at: https://bit.ly/36luA3x

الذي يبلغ وزنه 12 طنًا، والهياكل الخارجية السلبية للمهندسين القتاليين[106]؛ وذلك ما أسهم في توسيع سوق صادرات الأسلحة.

ج. الامتيازات العسكرية الاستراتيجية

نركز هنا على الامتيازات الدائمة بموجب اتفاقيات رسمية، فقد جرى توقيع اتفاقية سورية - روسية في عام 2017، تنص على السماح لروسيا بالاحتفاظ بقاعدتها الجوية المستأجرة في حميميم، والاحتفاظ بـ 11 سفينة في مرفأ طرطوس البحري، مع تجديد تلقائي لمدة 25 عامًا[107]، وكفلت روسيا بذلك وجودًا عسكريًا دائمًا ومشروعًا لها في البحر الأبيض المتوسط، على الأقل حتى عام 2066، سيساعدها في توسيع عملياتها في المنطقة في حال أنها صاغت سياسة روسية متوسطية - شرق أوسطية، كأفريقيا ومنطقة البحر الأحمر، إضافة إلى ليبيا التي تراهن روسيا على إمكانية إقامة قاعدة عسكرية روسية فيها تمثّل رأس جسر لتوسّعها في أفريقيا نفسها[108].

د. الامتيازات الاقتصادية

منحت الحكومة السورية، في آذار/ مارس 2018، الشركة الروسية «ستروي ترانس غاز» Stroytransgaz، التي تعتبر ثاني أكبر شركة مقاولات روسية[109]، امتيازًا لاستثمار مناجم الفوسفات في خنيفيس كان قد مُنح لإيران أولًا في عام 2017، وذلك مدة 50 عامًا[110]. ثم منحت الحكومة السورية، في كانون الأول/ ديسمبر 2016، نحو 25 في المئة من إنتاج النفط والغاز السوريّين لشركتي الطاقة الروسيتين «إيفرو بوليس» Evro Polis و«ستروي ترانس غاز». وإضافة إلى ذلك، جرى الإعلان عن خريطة طريق، في شباط/ فبراير 2018، تحصر مشاريع إعادة التأهيل المتعلقة بالنفط والغاز في الشركات الروسية[111]. لكن نحو 90 - 95 في المئة من الاحتياطي النفطي السوري، وفق وزير النفط السوري، يتركز في المنطقة الشرقية من سورية، وهو خارج سيطرة الحكومة السورية حتى الآن، ويخضع لقوات قوات سوريا الديمقراطية التي لم تزل حتى الآن مدعومة من الولايات المتحدة وتحظى بتغطيتها[112]. وتنتج آبار النفط التي ما زالت في الخدمة، والتي تقع تحت سيطرتها، وفق الأرقام الرسمية لعام 2022، نحو 85.9 ألف برميل، يصل منها 16 ألف برميل يوميًا إلى المصافي السورية، بينما تستأثر قوات قسد بنحو 70 ألف برميل منها يوميًا[113]. لكن مستقبل هذه الاستثمارات الحقيقي مرهون بحلول السلام في سورية والانتقال إلى مرحلة إعادة الإعمار. وهو التحدي الأساسي الذي يواجه روسيا، بعد أن غدت لاعبًا مباشرًا وحاضرًا في سورية.

---

106 Timofey Borisov, "Russian Arms Exports in the Middle East," in: Popescu & Secrieru (eds.), p. 48; Lavrov, p. 36.

107 Mens, p. 80; Lavrov, p. 36.

108 Borshchevskaya, p. 80

109 Igor A. Matveev, "Russian-Syrian Business Cooperation: Challenges and Prospects," Abdulla Ibrahim & Lorraine Charles (eds.), The Geneva Centre for Security Policy (GCSP) (December 2019), p. 4, accessed on 3/12/2020, at: https://rb.gy/57bu6c

110 Mens, pp. 80 - 81.

111 Ibid., pp. 75, 80.

112 "وزير الاقتصاد: أسعار المشتقات النفطية مرشحة للانخفاض"، **أخبار النفط والغاز السوري لحظة بلحظة**، 2014/10/16، شوهد في 2022/4/7، في: https://bit.ly/3uZFILq

113 المرجع نفسه.

خاتمة واستنتاجات

برهنت الدراسة، في ضوء مقاربتها الوصفية التاريخية التحليلية للعلاقات السببية في فهم الحالة بين المتغيرين المستقل (التفسيري) والتابع (النتيجة)، على أن المصالح الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية الروسية في سورية قائمة، لكنها صغيرة ومحدودة ولم تتعرض لخطر حتى تاريخ التدخل الروسي المباشر. ثم إنه كان في إمكان روسيا تعزيزها من دون الحاجة إلى تدخّل عسكري بالطريقة التي حدث بها. ولا تتمتع وحدها بكفاية تفسيرية لتفسير التدخل المباشر وتفسير توقيته واعتقاداته الأدواتية في عقيدة بوتين الأمنية.

حاولت الدراسة أن تفسر عوامل التدخل الروسي العسكري المباشر في سورية بالموقع المركزي للعقيدة الأمنية في العقيدة البوتينية السياسية العامة، التي تكثفت مبادئها الفلسفية والأدواتية بصفة عضوية مترابطة في المسألة الشمال قوقازية، التي عادت إلى الاندلاع من جديد على خلفية التفاعل مع الأحداث الدراماتيكية في سورية. وحاولت الدراسة أن تقدّم في ذلك إضاءة منهجية تحليلية لعامل ظل يُبحث على نحوٍ هامشي ويركَن في درج الدراسات؛ وهو العامل الأمني القومي.

وقد خلصت الدراسة إلى أن المتغير المستقل الأساسي - وفي عداده السبب المباشر أو القادح للتدخل - يتمثل في تفسير التدخل بالعامل الأمني القومي. لكن نجم عن التدخل توسع المصالح الاستراتيجية والجيوسياسية والاقتصادية التي حصلت عليها روسيا، فكان ذلك من نتائج التدخل التي عالجتها الدراسة على مستوى المتغير التابع، ولم تعتبرها من أسبابه.

ثم خلصت الدراسة إلى أن ديناميكية العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة تتسم بإمكانية أن تشكل المتغيرات التابعة بدورها متغيرات مستقلة، ويمكن أن تُعدّ المكاسب الاستراتيجية والجيوسياسية والاقتصادية (الطاقية) من قبيل تحول النتائج أو تحول المتغيرات التابعة إلى متغيرات مستقلة جديدة، قد لا تكون روسيا قادرة على استغلالها؛ بحكم غياب سياسة شرق أوسطية لروسيا عن مفهومها للأمن القومي وللسياسة الخارجية، وهامشية الشرق الأوسط في أولوياتها الإقليمية على المستوى الدولي. ومن المحتمل تمامًا أن يكون بوتين قد اندفع إلى الصراع من دون التفكير في نهاية اللعبة[114]، ومن دون أن يصوغ سياسة روسية شرق أوسطية. إن العقائد السياسية للقادة السلطويين والدكتاتوريين تدفعهم إلى اتخاذ قرارات مهلكة لهم في السياسة الخارجية، وفي حلقة حساسة منها هي حلقة الحرب والسلام. وقد لا يمثل بوتين في مستوى معين شذوذًا عن هؤلاء القادة السلطويين، كأدولف هتلر وصدام حسين، باتخاذهم قرارات حاسمة في ضوء ما يدركونه من القوة، وليس في ضوء القوة الموضوعية المَقيسة على حقائق، واندفاعهم في الحرب من دون التفكير في نهاية اللعبة خارج مدركاتهم الرغبوية العقيدية. وبذلك قد لا يكون ممكنًا فهم سلوك بوتين السياسي، بمعزل عن مفهوم سوء الإدراك Misperception في علم النفس السياسي. وذلك سيترك نتائجه، ليس على مستوى سورية فحسب، بل على مستوى منطقة الشرق الأوسط عمومًا. وهذا موضوع بحث مستقل يخرج عن غايات هذه الدراسة.

114 Angela Stent, "Putin's Power Play in Syria How to Respond to Russia's Intervention," *Foreign Affairs* (January-February 2016), accessed on 5/4/2022, at: https://bit.ly/3KrzSt2

المراجع

العربية

قلعجية، وسيم خليل. **روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين.** بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016.

كليبنيكوف، أليكسي. «أسس العقيدة العسكرية لسلاح البحرية الروسي». **اتجاهات الأحداث**. العدد 14 (أيلول/ سبتمبر-تشرين الأول/ أكتوبر 2015). في: https://bit.ly/3LJOggE

الأجنبية

"2000 Russian National Security Concept." at: https://bit.ly/3JGXetL

Ahmet, Mete. "Foreign Fighters in Syria: An Assessment of Jihadist Foreign Fighters in the Syrian Conflict." MA thesis in International Relations. King›s College London, 2015. at: https://bit.ly/36JJu3p

Allcock, Simon. "Explaining Russia's Intervention in Syria in September 2015." *E-International Relations.* 28/2/2016. at: https://bit.ly/3Jt3WE0

Allison, Roy. "Russia and Syria: Explaining Alignment with a Regime in Crisis." *International Affairs*. vol. 89, no. 4 (July 2013). at: https://bit.ly/3DmZyo1

Arutunyan, Anna. "ISIS Returnees Bring Both Hope and Fear to Chechnya." International Crisis Group. 26/3/2016. at: https://bit.ly/3qtSbbZ

Bechav, Dimitar, Nicu Popescum & Stanislav Secrieru (eds). *Russia Rising: Putin's Foreign Policy in the Middle East and North Africa*. New York/ London/ Dublin: I. B. Tauris, 2021.

Bolan, Christopher J. "Strategic Insights: After the Smoke Clears in Syria: Dilemmas for U.S. Strategy Remain." Strategic Studies Institute. 18/5/2018. at: https://bit.ly/3re82sB

Borshchevskaya, Anna. *Putin's War in Syria: Russian Foreign Policy and the Price of America›s Absence.* London: I. B. Tauris, 2022.

Charap, Samuel, Elina Tryger & Edward Geist. "Understanding Russia's Intervention in Syria." Rand Corporation (2019). at: https://bit.ly/3tBKGP5

Clarke, Colin P. *Jihadist Violence in the Caucasus Russia between Counterterrorism and Counterinsurgency.* Santa Monica, CA: Rand Corporation, 2017. at: https://bit.ly/3wuk0Sm

Donaldson, Robert H. & Vidya Nadkarni. *The Foreign Policy of Russia Changing System. Enduring Interest.* 6th ed. New York: Routledge, 2019.

Dreyfus, Emmanuel. "The Russian Military Police, from Syria to Karabakh." *PONARS Eurasia Policy Memo.* no. 688. The Program on New Approaches to Research and Security in Eurasia (PONARS Eurasia) (January 2021). at: https://bit.ly/36luA3x

Duclos, Michel. “Russia’s National Security Strategy 2021: The Era of Information Confrontation.” Institut Montaigne. 2/8/2021. at: https://bit.ly/36o3p85

Hamilton, Robert, Chris Miller & Aaron Stein (eds.). *Russia’s War in Syria Assessing Russian Military Capabilities and Lessons Learned.* Philadelphia: Foreign Policy Research Institute, 2020. at: https://bit.ly/3ut7jEA

Harmer, Christopher. “Russian Naval Base Tartus.” Institute for the Study of War (ISW). 31/7/2012. at: https://bit.ly/3umqNed

Hinnebusch, Raymond A. & Adham Saouli (eds.). *The War for Syria Regional and International Dimensions of the Syrian Uprising.* London/ New York: Routledge, 2020.

Kanet, Roger E. (ed.). *Routledge Handbook of Russian Security.* New York: Routledge, 2019.

Kofman, Michael. “Syria and The Russian Armed Forces and Evaluation of Moscow’s Military Strategy and Operational Performance.” Foreign Policy Research Institute (September 2020). at: https://bit.ly/3iw0jkQ

Kozanov, Nikolay. “Russian Policy Across the Middle East Motivations and Methods.” Chatham House (February 2018). at: https://bit.ly/3urqJLk

Kuimova, Alexandra. “Russia’s Arms Exports to the Mena Region: Trends and Drivers.” Italian Institute for International Political Studies (ISPI). 1/4/2019. at: https://bit.ly/36odbXG

Lamp, Carl. “Russia’s Repatriation of ISIS Members.” Foreign Policy Research Institute. 12/4/2019. at: https://bit.ly/36Fi92a

Lavrov, Sergey. “Russia’s Foreign Policy Philosophy.” *International Affairs*. vol. 8, no. 3 (March 2013). at: https://shorturl.at/GHMV4

Lund, Aron. “Russia in the Middle East.” The Swedish Institute of International Affairs (2019). at: https://bit.ly/3545SDU

Malashenko, Alexey. “Russia and The Arab Spring.” Carnegie Moscow Center (October 2013). at: https://bit.ly/3wu96Mq

Matveev, Igor A. “Russian-Syrian Business Cooperation: Challenges and Prospects.” Abdulla Ibrahim & Lorraine Charles (eds). The Geneva Centre for Security Policy (GCSP) (December 2019). at: https://rb.gy/57bu6c

McFaul, Michael. “Putin, Putinism, and the Domestic Determinants of Russian Foreign Policy.” *International Security*. vol. 45, no. 2 (Fall 2020).

Mens, Jay. “Footing the Bill: Russian and Iranian Investment and American Withdrawl in Syria.” *Journal of European, Middle Eastern & African Affairs (JEMEAA).* vol. 1, no. 2 (Winter 2019). at: https://bit.ly/3pVUu47

Popescu, Nicu & Stanislav Secrieru (eds.). *Russia's Return to the Middle East Building Sandcastles.* no. 146. Luxembourg: Publications Office of the European Union, 2018. at: https://bit.ly/3ICLmbo

Rodkiewicz, Witold. "Russia's Middle Eastern Policy Regional Ambitions, Global Objectives." Centre for Eastern Studies (2017). at: https://bit.ly/3NZysYD

Ruiz González & Francisco J. "The Foreign Policy Concept of the Russian Federation: A Comparative Study." *Framework Document.* no. 6. Instituto Espanol de Estudios Estrategicos (April 2013). at: https://bit.ly/3wyZDTX

"Russia Exports of Arms and Ammunition, Parts and Accessories to Syria." *Trading Economics.* at: https://bit.ly/3uss8A0

"Russia Exports to Syria." *Trading Economics.* at: https://bit.ly/3ih4NeZ

Shattuck, Thomas J. (ed.). *Russia's War in Syria.* Foreign Policy Research Institute (September 2020). at: https://bit.ly/3iw0jkQ

Sladden, James et al. "Russian Strategy in the Middle East." Rand Corporation (2017). at: https://bit.ly/3GO4dPz

Souleimanov, Aslan. "The North Caucasus Insurgency: Dead or Alive." Strategic Studies Institute, US Army War College. 1/2/2017. at: https://bit.ly/3LQBMUf

Stent, Angela. "Putin's Power Play in Syria How to Respond to Russia's Intervention." *Foreign Affairs* (January-February 2016). at: https://bit.ly/3KrzSt2

Tabrizi, Aniseh Bassiri & Raffaello Pantucci (eds.). *Understanding Iran's Role in the Syrian Conflict.* Royal United Services Institute for Defence and Security Studies (August 2016). at: https://bit.ly/3JCb4ht

The Foreign Policy Concept of The Russian Federation. Approved by the President of the Russian Federation V. Putin, June 28, 2000. at: https://bit.ly/3wyQWsI

The Foreign Policy Concept of The Russian Federation. Approved by the President of the Russian Federation V. Putin, 12 July 2008. at: https://bit.ly/37myBET

Van Ostaeyen, Pieter & Guy Van Vlierden. "Citizenship and Ancestry of Belgian Foreign Fighters." *ICCT Policy Brief.* The International Centre for Counter-Terrorism (ICCT) (May 2018). at: https://bit.ly/3P2ChPQ

Vasiliev, Alexey. *Russia's Middle East Policy from Lenin to Putin.* New York: Routledge, 2020.

Westerlund, Fredrik. "The Role of the Military in Putin's Foreign Policy. An Overview of Current Research." Swedish Defence Research Agency (FOI) (February 2021). at: https://bit.ly/3IPs3vH

Wlodkowska-Bagan, Agata. "Syria in Russia's Foreign Policy in the 21st Century." *TEKA Komisji Politologii I Stosunków Międzynarodowych.* vol. 12, no. 1 (2017). at: https://bit.ly/3AgtRfk